

الرّسالة ٥٠

فقيرٌ يشتري ذهباً!

(Arabic - The poor are invited to buy gold!)

أحبائي: حديثنا اليومَ موضوعُهُ: فقيرٌ يشتري ذهباً!

ومن سفر رؤيا يوحنا اللاهوتيّ الأصحاح الثالث نقرأ العددين السابعَ وعشرَ والثامنَ عشرَ:

"لأنك تقول: إني أنا غنيٌّ وقد استغنيتُ ولا حاجة لي إلى شيءٍ.. ولست تعلمُ أنك أنتَ الشقيُّ والبائسُ وفقيرٌ وأعمى وعريانٌ!.. أشيرُ عليك أن تشتريَ مِنِّي ذهباً مُصقًى بالنار لكي تستغنيَ".^١

إن ما يسترعى الانتباهَ هو نوعُ البضاعةِ المعروضةِ للشراء.. إنها ذهبٌ مُصقًى بالنار!.. أما الطبقةُ التي ينتمي إليها المشتري فهي طبقة الفقراء ويدعى أنه من الأغنياء! يقولُ أنه غنيٌّ ولا حاجة له إلى شيءٍ. أما صاحبُ هذه البضاعةِ الثمينة فهو يسوع المسيح.. وهو يدعُو هذا المُستغني قائلاً: "أشيرُ عليك".. وهل نجدُ مثلَ الربِّ مُشيراً؟!.. إن أخطرَ حالةٍ يصلُ إليها الإنسانُ هي حالةُ الاكتفاء الذاتيِّ بعيداً عن الربِّ.

من أعراضِ حالةِ المُستغني أي الإنسان الذي يقولُ أنه غنيٌّ ولا حاجة له إلى شيءٍ.. هو فتورِ المحبةِ واستبدالِ المواهبِ الروحيةِ بالمواهبِ العقليةِ والفلسفاتِ الإنسانية.. واستغنيِ بالوسائطِ البشريّةِ والشكليّاتِ النظريةِ!.. والنتيجةُ معَ الأسفِ هي انعدامُ إحساسِ ذلكِ الإنسانِ المُستغني بما يُعانيه من شيعٍ وهميٍّ وهُزالٍ روحيٍّ!.. إن الله يُخاطبُ ذلكَ الإنسانَ قائلاً: "لستَ تعلمُ!".. فمشكلتهُ عدمُ المعرفةِ لأنه في غيبوبةٍ من جهلٍ.. وعدمِ إدراكِ حقيقةِ أمره. يقولُ الكتابُ: "قد هلكَ شعبي من عدمِ المعرفةِ!".. أوليسَ من الحكمةِ الخضوعُ لمشورةِ الربِّ وإرشادهِ؟!.. فليسَ مثلَ الربِّ مُشيرٌ أو مُرشِدٌ لينيرَ أمامنا الطريقَ.. وينقلنا من ظلامِ الجهلِ إلى نورِ المعرفةِ.^٢

أحياناً يتواجدُ الإنسانُ في مكانٍ غيرِ لائقٍ به أن يتواجدَ فيه.. فقد يتعرّضُ فيه للموتِ وهو لا يعلمُ.. مثلهُ كمثلِ هؤلاء الذين يجتمعون حولَ موقِدِ فحمٍ في مكانٍ مُغلقٍ ليستدفئوا.. ولكنهم في نفسِ الوقتِ يستنشقون سُمومَ الموتِ من الغازِ السامِ المتصاعدِ من احتراقِ الفحمِ في ذلكِ المكانِ المُغلقِ.. فاذا بهم يموتون بالاختناقِ موتاً بطيئاً!.. قد نتساءلُ: ألا يشعرُ أحدُهُم بالخطرِ الواقعِ عليهم فينتبهه ويُنبهه رُفقاءه؟!.. الحقيقةُ أن جميعَ المُستدفئينِ حولَ الفحمِ المُتقدِ يفتقدون الوعىَ شيئاً فشيئاً.. فمن يُنقذُ من؟!..

وهذا ما يحدثُ معَ كثيرين من الذين خدعهم إبليس.. إنهم مُعرضون للهلاكِ لأنهم فقدوا الإحساسَ بِخطورةِ حالتهم.. ولكنَّ الروحَ القدسَ يُنبهُ الغافلَ ويُرشِدُ الضالَّ ويُبكتُ ويحذِرُ الخاطئَ من الهلاكِ والموتِ الأبدى.. يقولُ الربُّ لخدامِ كنيسةِ اللاوُدكيين: ولستَ تعلمُ أنك أنتَ الشقيُّ والبائسُ وفقيرٌ وأعمى وعريانٌ.. أشيرُ عليك أن تشتريَ مِنِّي ذهباً مُصقًى بالنار لكي تستغنيَ.^٣

أحياناً يرى الإنسانُ نفسه بمنظارٍ وهميٍّ.. يرى أنه صارَ غنياً بفضةِ العالمِ ودّهيه الفاني.. ولكنَّ الربِّ يراه بالمنظارِ الحقيقيِّ.. فمهما اغتنى الإنسانُ بمالِ العالمِ فهو شقيٌّ وبائسٌ وفقيرٌ وأعمى وعريانٌ.. طالما يسيرُ في طريقِ التيهِ والضللالِ والبُعدِ عن معرفةِ الله.. عزيزي القارئ!.. إن الربِّ في محبتهِ وغنىِ نعمتهِ يقدّمُ لك ولى ذهباً مُصقًى بالنار وهو أتمنُّ وأعلى من كلِّ جواهرِ العالمِ ألا وهو خلاصُ نفسكِ ونفسي من الهلاكِ الأبدى.. "لأنه

استمع إلى الإنجيل

^١ رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣: ١٧ - ١٨

^٢ سفر إشعياء ٦: ٩ ، سفر هوشع ٤: ٦

^٣ إنجيل يوحنا ١٦: ٨

ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه! .. فليتنا نذكر أننا بغير معرفة الله نحن فقراء.. ولكن يوجد رجاء للفقير عند الله الغني.. لذلك يدعو الرب قائلا: "أسيرُ عليك أن تشتري مئتي ذهباً مصفى لكي تستغني".^١

وفي سفر إشعياء الأصحاح الخامس والخمسين يقول الرب: "أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة ولا ثمن خمرًا ولبنًا" .. إنها عملية شراء.. ولكنها تتم بلا فضة ولا ثمن لأننا نشترى من "ملك الملوك ورب الأرباب الذي به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان". ويقول الكتاب: "مُتبررين مجاناً بنعمة الفداء الذي ببسوع المسيح" .. أن الأمر لا يتطلب منا أكثر من أن نذكر حقيقة افتقارنا إلى شخص الرب وحاجتنا الماسة لعمل الروح القدس فينا.. فإذا أتينا إليه بإيمان وثقة في كلامه نحصل على ما نفتقر إليه ونغتنى بغناه ونكتفى.. لقد كتب إشعياء النبي يقول: "اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب.. ليترك الشريير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتنب إلى الرب فيرحمه وإلى هنا فإنه يكثر العُفران".^٢

كنتُ قبل معرفتي بالرب واختباري^٣ الحياة المسيحية الحقيقية.. ألاحظ فرقاً كبيراً بين أولاد الله وأولاد العالم وحسيت أن الأمر يتطلب بدل مجهود شاق في صلوات وأصوام كي أنال رضا الله علي فيقبلني.. وظننت أنه من الحكمة أن أنتظر حتى أكون مؤهلاً لذلك.. وكم كانت دهشتي حين علمتُ وقتذاك أن ما حصلوا عليه كان بنعمة الله وليس من مجهودات بشرية.. فمن ذا الذي يستطيع أن يظهر ببره أمام البار القُدوس؟!.. ولكن بقبول الرب يسوع المسيح مخلصاً وتسليم الحياة بالكامل لشخصه المبارك ويسكني الروح القدس في القلب دون اتكال على مجهودات شخصية وبر ذاتي تكون لنا علاقة مع الله.. إذ أن الروح القدس هو الذي يعمل فينا فنأتي بثمر هو ثمر الروح القدس العامل فينا.. اختبرتُ هذا الاختبار وتحققت أن الحياة الجديدة بالميلاد الثاني وبلا جهد أبدله أو ثمن أدفعه.. فالجهد قد بذل والثمن قد دفع على الصليب.. وذلك الذي قال: أسيرُ عليك أن تشتري مئتي ذهباً مصفى لكي تستغني وقال: "تعالوا إلي يا ثقلي الأحمال وأنا أريحكم" ووعد بالقول: "من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً".^٤

عزيزي القارئ: لينك تفتح قلبك لرسالة الله إليك اليوم.. فإذا شعرت بأنك فقير لغنى ربك ويعوزك الحياة الأفضل.. فتعال إليه لتشتري الذهب المصفى وبلا ثمن.. حذارى القول أنك غني وقد استغنيت ولا حاجة لك إلى شيء فكل من استغني ولم يشعر بحاجته إلى عطية الله العظيمة هو الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان.. إن الله لعظم محبته لنا يدعونا ليبدل فقرنا إلى غنى حقيقي.. فاتحاً باب الرجاء لنشتري منه الذهب المصفى بالنار كي نستغني.. قال بولس الرسول: "حسرتُ كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح.. وكل من يربح المسيح يصبح غنياً بشخصه لا بغنى العالم الفاني.. كفقراء ونحن نغني كثيرين.. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء".^٥

عزيزي.. قد تكون من أسرة طيبة مؤمنة غنية بالرب ومن أبوين تقيين.. ولكن غناهم بالمسيح لا يُغنيك عنه.. فالرب يقول: "أسيرُ عليك". (عليك أنت) أن تشتري (أنت) مئتي ذهباً مصفى بالنار.. ففي مثل العذارى الذي ضربهُ السيد المسيح المذكورُ بإنجيل متى.. حسيبتُ العذارى الجاهلات أن زيت العذارى الحكيمات الذي في مصابيحهن يكفي لهن أيضاً حين اكتشفن أنه لا يوجد زيت في مصابيحهن وقلن للحكيمات: اعطيننا من زيتكن.. فكانت إجابة العذارى الحكيمات: "لعله لا يكفي لنا ولكن.. بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن!".. أخي: إن المسيح هو الذهب الذي ارتضى أن يصفى بنار الصليب نيابة عني وعنك.. تعال معي لنشتري بلا فضة ولا ثمن.^٦

أدعوك أخي المحبوب أن تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أنا الفقير المحتاج إلى برك وفيض نعمتك.. جئتُ معترفاً بعوزي.. وحاجتي إليك ربّي لكي استغني بغناك.. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار.. وإتقاً أنك تستجيب لي يا من وعدت بقولك: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل متى ١٦: ٢٦ ، إنجيل مرقس ٨: ٣٦ ، إنجيل لوقا ٩: ٢٥

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٣: ٢٤ ، سفر إشعياء ٥٥: ١ & ٦ & ٧

^٣ اختباري بالرسالة ١٤٨

^٤ إنجيل متى ١١: ٢٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨ - ١٠ ، إلى مؤمنى فيلبى ٣: ٩ ، إنجيل يوحنا ٦: ٧٧

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٣: ٨ - ٩ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٠

^٦ إنجيل متى ٢٥: ٨ - ١٠